المناسبات القرآنية

أ. سيدأحمد إيخو
جامعة سيدي بلعباس

اختلف العلماء في المناسبات القرآنية، هل هي مطّردة في القرآن الكريم، بمعنى أنّ كلّ آية لها مناسبة بالآية التي سبقتها والآية التي لحقتها، وأنّ كلّ سورة لها مقصد معيّن، بحيث أن الآيات في السورة الواحدة مرتبطة فيما بينها، ومرتبطة أيضا بمقصد السورة التي تنتمي إليها.

فمن علماء التفسير من ذهب إلى نفي التناسب بين الآيات، فإن الآية تنزل بحسب الوقائع، وتوضع في المصحف بحسب إشارة النبي صلى الله عليه وسلم، ولا يقتضي ذلك تناسبا بين الآية والآية التي بجانبها، لاختلاف الوقائع والأحوال.

ومن العلماء من ذهب إلى أنّ كل سورة لها موضوع معيّن ومقصد محدّد، وليس ثَمَّ آية إلا ولها صلة بما قبلها وما بعدها، كما أنّ بين أوّل السورة وآخرها مناسبة، وبين آخر السورة وأوّل السورة التي تليها مناسبة، عَرَفَ ذلك من عرفه وجَهِلَه من جهله، ويمثّل هذا الرأي بقوّة العلامة البقاعي، في مصنّفه الكبير في التفسير، والذي سمّاه:" نظم الدرر في تناسب الآي والسور " حيث دافع عن هذا الرأي تقديما وتنظيرا وتمثيلا، ولم يترك شاردة ولا واردة إلاّ وحشرها في هذا المجال.

والحقّ أن العلماء قبل البقاعي، لم يتناولوا هذا الموضوع إلاّ باحتشام وبنوع إشارة، ولعلّ من الأسباب التي نأت بهم عن الغوص في دقائقه:

1- تورّعهم عن القول في كتاب الله بغير علم، وبما يظهر لهم بادي الرأي، إذ لم يجدوا من سبقهم إلى ذلك من السلف، فخشوا من التجرّء على ذلك، لما ورد في الآثار من الترهيب أن يقول المرء في القرآن بغير علم.

2- ردّ بعض العلماء على من يتكلّم في موضوع المناسبات بقوّة، وتغليطهم له، ونسبتهم إيّاه إلى التّكلّف والشّطط، مما جعل كثيرا من المفسّرين يهابون الخوض في هذا الموضوع.

3- أنّ أكثر المفسّرين، تناولوا في تفاسيرهم، كلام الله عزّ وجلّ آية آية، وفسّروه كلمة كلمة وجملة جملة، ولم يحاولوا الربط بين الآيات، ولم يكن ذلك من شأنهم ووُكْدِهم، ممّا جعل هذا النوع من الإعجاز القرآني يتأخّر ظهوره.

ثم إنّ ولوج هذا الباب، ليس بالأمر الهيّن، فيجب على متعاطيه أن يتملّك أدواته وهي كثيرة، كالعلم بلغة العرب وأسباب النزول ووجوه ارتباط الكلام وخواصِّ التراكيب ودلالات الألفاظ، وغيرها من المعارف التي تخوّل له الكلام في هذا المجال، وفي ذلك يقول الزركشي:" واعلم أن المناسبة علم شريف، تُحْزَر به العقول، ويُعرف به قدرُ القائل فيما يقول، والمناسبة في اللغة: المقاربة،... ولهذا قيل: المناسبة أمر معقول، إذا عُرِضَ على العقول تلقَّتْه بالقَبول. وكذلك المناسبة في فواتح الآي وخواتمه، ومرجعها – والله أعلم – إلى معنى ما رابط بينهما: عامّ أو خاصّ، عقليّ أو حسيّ أو خياليّ، وغير ذلك من أنواع العلاقات، أو التلازم الذهني، كالسبب والمسبب، والعلّة والمعلول، والنّظيرين، والضدّين، ونحوه، أو التلازم الخارجي، كالمرتّب على ترتيب الوجود... وفائدته: جعل أجزاء الكلام، بعضها آخذ بأعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط، ويصير التأليف حاله حال البناء المحكم، المتلائم الأجزاء. وقد قلّ اعتناء المفسّرين بهذا النوع لدقّته، وممن أكثر منه الإمـــام فخـــر الدين الرازي، قال في تفسيـــره: أكثرُ لطائف القرآن مُودَعَةٌ في الترتيبات والرّوابط "[1].

[1] – البرهان في علوم القرآن، للزركشي، ج1 ص35،36.

وإذا نحن تأمّلنا فيما ساقه العلماء من اشتغال بعض المفسّرين بعلم المناسبة، ورتّبناه ترتيبا تاريخيا، وجدنا أنّ هذا الأمر سار على النحو التالي:

1- أوّلُ من أظهر هذا العلم ببغداد، ولم يكن سُمِع قبله، الإمام أبو بكر النيسابوري المتوفى سنة(324) هـــ، وكان غزير العلم في الشريعة والأدب، وكان يقول على الكرسيّ إذا قُرِئت عليه الآية: لَمَ جعلت هذه الآية إلى جنب هذه الآية ؟ وما الحكمة في جعل هذه السورة إلى جنب هذه السورة؟ وكان يُزري على علماء بغداد لعدم علمهم بالمناسبة.

2- عمل فيه أحد العلماء " سورة البقرة " على ما ذكر القاضي أبو بكر بن العربي المتوفى سنة 543 هـــ، حيث يقول:" ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة، متّسقة المعاني، منتظمة المباني، علم عظيم، لم يتعرّض له إلا عالم واحد عمل فيه سورة البقرة، ثم فتح الله عزّ وجلّ فيه، فلمّا لم نجد له حَمَلَة، ورأينا الخلقَ بأوصاف البَطَلَة، ختمنا عليه، وجعلناه بيننا وبين الله، ورددناه إليه "[1].

3– سجّل الإمام الرّازي المتوفى سنة 606 هـــ كثيرا من وجوه الارتباط بين الآيات في تفسيره المسمّى " مفاتيح الغيب "، كما شهد له بذلك الزركشي والسيوطي وغيرهما.

4– ذكر الزركشي في فصل سمّاه: معرفة المناسبات بين الآيات، أن الأستاذ أبا جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزُّبير الغرناطي، المتوفى سنة 708 هـــ، أفرد هذا النوع بالتصنيف، وهو شيخ أبي حيان المفسّر النّحوي المشهور، لكن المعروف أنّ لهذا الفقيه الأندلسي كتاب في ترتيب السور، وليس في ترتيب الآيات، وهو المسمّى بـــ" البرهان في ترتيب سور القرآن " وهو كتاب جليل

في بابه استفاد منه البقاعي استفادة كبيرة، بل ساقه كله في بداية كلّ سورة، حتى أنّ محقق الكتاب جعل " نظم الدرر " للبقاعي نسخة أخرى من نسخ (البرهان)، وقد صرّح البقاعي بذلك، حيث يقول:" وطالعت على ذلك كتاب العلامة أبي جعفر بن الزبير الثقفي الأندلسي، المسمّى بـ " البرهان في ترتيب سور القرآن"، وهو لبيان مناسبة تعقيب السورة بالسورة فقط، لا يتعرّض فيه للآيات، وسأذكر في أوّل كلّ سورة، ما قاله فيها بلفظه، كما ستراه إن شاء الله تعالى "[1].

ولكنَّ فارسَ هذا الميدان بحقّ، وبلا منازع، هو العلّامة البقاعي، الذي تتبّع القرآن الكريم، من أوّله إلى آخره، واستقرأ آياته استقراءا واسعا، وحشد في سبيل ذلك طاقاته الفنية، وقدراته اللغوية والبلاغية، واستجمع قواه الفكرية وشجاعته الأدبية، ثم ولج هذا الميدان، غير هيّاب ولا وَجِل،، فتحدّث بجلاء وقوّة بيان، وسلاسة عبارة، عن وجوه ارتباط الجمل بين بعضها البعض، ووجوه التناسب والتناسق بين الآيات، ووجوه الترتيب بين السور، ولم يترك شاردة ولا واردة في هذا الباب إلا استجلبها، ونوّع العبارة وحسّن الإشارة، ووفّى الدلالة، ولا غَرْوَ فقد مكث في تأليف هذا السِّفْرِ النّفيس، أربع عشرة سنة، ينظر ويعيد النظر، ويتفكّر ويتأمّل، حتى عدّ ذلك من توفيق الله له، ومن الفتوحات الرّبانية التي تجلّت عليه من الوهّاب العليم.

وقد عرف البقاعي ذلك كلَّه، فقال في مقدمة كتابه:"... فهذا كتاب عُجاب، رفيع الجناب، في فنٍّ ما رأيت من سبقني إليه، ولا عوّل ثاقبُ فكره عليه، أذكر فيه إن شاء الله مناسبات ترتيب السور والآيات، أطلت فيه التّدبّر،

---

[1] – نظم الدرر في تناسب الآيات والسور. الطبعة الهندية، ج1 ص6، وانظر البرهان في ترتيب سور القرآن، لابن الزبير، تح: محمد شعباني، ص172.

وأنعمت فيه التفكّر لآيات الكتاب... فأمدّني والحمد لله تأييد سماويّ... وسمّيته:" نظم الدرر في تناسب الآيات والسور " ويناسب أن يسمّى:" فتح الرحمن في تناسب أجزاء القرآن "، وأنسب الأسماء له:" ترجمان القرآن ومبدي مناسبات الفرقان ""[2].

وعلى عادة العلماء في تعريف العلم الجديد وما يتعلَّقُ به، نجد البقاعي يتحدّث عن حدّ علم المناسبة، وموضوعه وثمرته ونسبته، فيقول في:

حدّه: هو علم تعرف به علل الترتيب.

وموضوعه: أجزاء الشيء المطلوبِ علمُ مناسبته من حيث الترتيب.

وثمرته: الاطّلاع على الرتبة التي يستحقّها الجزء بسبب ما له بما وراءهُ وما أمامه من الارتباط والتّعلّق الذي هو كلُحْمَة النّسب.

ونسبته: من علم التفسير، نسبة علم البيان من النحو[1].

وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام:" المناسبة علم حسن، ولكن يشترط في حسنه حسن ارتباط الكلام بأن يقع في أمر متّحد مرتبط أوّله بآخره، فإن وقع على أسباب مختلفة لم يشترط فيه ارتباط أحدهما بالآخر... ومن ربط ذلك فهو متكلّف بما لا يقدر عليه إلا بربطٍ ركيكٍ يُصان عنه حسن الحديث فضلا عن أحسنه، فإنّ القرآن نزل في نَيِّفٍ وعشرين سنة في أحكام مختلفة ولأسباب مختلفة، وما كان كذلك، لا يتأتّى ربطُ بعضه ببعض "[2].

---

(2) – نظم الدرر ج1 ص2، 4، 5.

(1) – نظم الدرر ج1 ص5،6.

(2) – البرهان للزركشي، ج1ص 37.

وظاهر كلام (العزّ) أنه يقرُّ المناسبة بين الآيات، لكن على نطاق ضيّق، وذلك إذا كان وجه الارتباط بين الآيتين ظاهرا، لا تكلّف في استنباطه، بأن كان الكلام متّحدا والمعنى مرتبطَ الأوّل بالآخر، أمّا إذا خَفِيَ وجهُ الارتباط، فهو يرى أن لا داعي لتكلّف ذلك، ويعلّل ذلك بأنّ القرآن نزل في أزمان متباعدة، ولأسباب مختلفة، فليس لأحد أن يطلب الرّبط بين الآيات مع اختلاف أوقاتها وأحكامها.

وكأنّ الزركشي يردُّ على هذا الرّأي، إذ ينقل عن بعض مشايخه المحقِّقين قوله:" قد وَهِمَ من قال: لا يطلب للآي الكريمة المناسبة، لأنها على حَسَبِ الوقائع المتفرّقة، وفصلُ الخطاب أنّها على حسب الوقائع تنـــزيلا، وعلى حسب الحكمة ترتيبا، فالمصحف كالصّحف الكريمة على وَفْقِ ما في الكتاب المكنون، مرتَّبة سوره كلها وآياته بالتوقيف. والذي ينبغي في كلّ آية أن يُبْحَثَ أوّلَ كلِّ شيء عن كونها مكمّلة لما قبلها، أو مستقلّة، ثم المستقلة، ما وجه مناسبتها لما قبلها ؟ ففي ذلك علم جمّ، وهكذا في السّور يطلب وجه اتّصالها بما قبلها وما سيقت له "[3].

ويعترف الإمام البقاعي بأنّه استفاد من إمامين جليلين:

الأوّل: الإمام أبو الحسن علي بن أحمد بن الحسن التُّجيبي الحَرالي المغربي[4]، حيث استقى من كتابه الذي سمّاه:" مفتاح الباب المقفل لفهم القرآن

---

[3] – نفسه، وقد نقله عنه البقاعي، ونسبه للشيخ محمد بن أحمد الملوي المنفلوطي الشافعي، نظم الدرر، ج1 ص8.

[4] – هو أبو الحسن الحرالي الأندلسي، ولد بحرالة من أعمال مُرسية، حجّ ولقي العلماء، وجال في البلاد، وشارك في عدّة فنون، ومال إلى النظريات وعلم الكلام، وله تفسير فيه عجائب، وكان من أحلم الناس، بحيث يضرب به المثل، لا يقدر أحد أن يغضبه، توفي سنة 737 هـــ. سير أعلام النبلاء ج23 ص47، وطبقات المفسّرين للأدَرْنَوِي ص273.

المنزّل "، وكتاب: العروة، لهذا المفتاح، يذكر فيه وجه إنزال الأحرف السبعة، قال:" وقد ذكرت أكثر هذا الكتاب في تضاعيف كتابي هذا، معزوّاً إليه في مواضع تليق به، ثم بعد وصولي إلى سورة الأنفال، ملكتُ جزءا من تفسيره، فيه من أوّله إلى:" إن الله اصطفى " في آل عمران، فرأيته عديم النظير، وقد ذكر فيه المناسبات، وقد ذكرت ما أعجبني منها وعزوته إليه "[1].

والإمام الثاني هو ابن النّقيب الحنفي[2]، يقول البقاعي في ذلك:" وبعد أن وصلت إلى سورة الكهف، ذكر لي أن تفسير ابن النقيب الحنفي، وهو في نحو ستين مجلّدا، يذكر فيه المناسبات، وفي خزانة جامع الحاكم كثير منه، فطلبت منه جزءا، فرأيت الأمر كذلك بالنسبة إلى الآيات لا جملها، وإلى القصص لا جميع آياتها، ومن نظر كتابي هذا علم النسبة بينهما "[3].

ولعلّ محاولة البقاعي، تفسيرَ القرآن الكريم كُلِّه، من أوّله إلى آخره، على طريق الكشف عن التناسب بين كلّ آية وآية، لعلّ محاولته تلك هي المحاولة الوحيدة في التاريخ. يدلّ على ذلك أنّ عالما من المتأخّرين، من أبناء القرن الثالث عشر، وهو العلّامة الشوكاني[4]، يرد بقوّة على القائلين بالتناسب

---

(1) – نظم الدرر، ج1 ص10.

(2) – هو الإمام أبو عبد الله محمد بن سليمان بن الحسن بن الحسين البلخي المقدسي، جمال الدين، المعروف بابن النقيب الحنفي، ولد بالقدس وانتقل إلى القاهرة، وعاد إلى القدس فتوفي بها، شارك في عدّة فنون منها التّفسير والفقه، وله تفسير القرآن سماه: التحرير والتّحبير لأقوال أئمة التفسير في معاني كلام السميع البصير، توفي سنة 698 هـ. معجم المفسّرين لنويهض ج2 ص535.

(3) – نظم الدرر، ج1 ص10.

(4) – هو الإمام أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد الشوكاني، ولد بهجرة شوكان من بلاد خولان باليمن، ونشأ وتعلّم بصنعاء وولي قضاءها، شارك في عدّة فنون منها التفسير والفقه،

بين آيات القرآن الكريم كلّه، وعند التمثيل على هؤلاء، نجده يذكر البقاعي وحده، ومن ذكرهم البقاعي في مقدّمة تفسيره.

ومن المناسب هنا أن نشير إلى ردّ الشوكاني على البقاعي، حيث وقف وقفة طويلة مع القائلين بالتناسب، عند قوله تعالى:"يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم وإياي فارهبون..." [البقرة:40]، فقد جاء ذكر هذه الآية بعد قصة آدم عليه السلام، فكيف يطلب الطّالب مناسبة بين الحديث عن بني إسرائيل والحديث عن آدم ؟

يقول الشوكاني عن هذه الآية:" اعلم أنّ كثيرا من المفسّرين جاءوا بعلم متكلّف، وخاضوا في بحر لم يُكَلَّفوا سباحته، واستغرقوا أوقاتهم في فنّ لا يعود عليهم بفائدة، بل أوقعوا أنفسهم في التّكلّم بمحض الرأي، المنهي عنه في الأمور المتعلّقة بكتاب الله سبحانه، وذلك أنهم أرادوا أن يذكروا المناسبة بين الآيات القرآنية، المسرودة على هذا الترتيب الموجود في المصاحف، فجاءوا بتكلّفات وتعسّفات، يتبرّأ منها الإنصاف، ويتنزّه عنها كلام البلغاء، فضلا عن كلام الربّ سبحانه، حتى أفردوا ذلك بالتصنيف، وجعلوه المقصد الأهم من التأليف، كما فعله البقاعي في تفسيره "[5].

وقدّم الشوكاني في الانتصار لرأيه الأدلة التالية:

1- إنّ القرآن ما زال ينزل مفرّقا على حسب الحوادث المقتضية لنزوله، منذ نزول الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أن قبضه الله

وله في التفسير عدة كتب منها: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، توفي سنة 1250 هـ. الأعلام للزركلي، ج7 ص191، ومعجم المفسّرين لنويهض، ج2 ص593.

[5] – فتح القدير للشوكاني، ج1 ص72.

عزّ وجلّ، وهذه الحوادث متخالفة فيما بينها، بل قد تكون متناقضة كتحريم أمر كان حلالا وعكسه، وتارة يكون الكلام مع المؤمنين وتارة مع الكافرين، وحينا في ترغيب وحينا في ترهيب...

2- اختلاف أسباب النزول وتباينها، لا يتيسّر معه الائتلاف، فالقرآن باعتباره نفسه، مختلف كاختلافها.

3- في تقرير هذا الأمر، فتحٌ لأبواب الشّك، وتوسيع لدائرة الرَّيْب على من في قلبه مرض، أو كان مرضه مجرّد الجهل والقصور، فإنّه إذا تقرّر عنده وجود المناسبة في جميع آي القرآن، ثم وجد آيتين لا يظهر وجه الارتباط بينهما إلا بنوع تكلّف وتعسّف، انقدح في قلبه الشّك والرّيب.

4- نزول القرآن لم يكن مرتّبا على هذا الترتيب الكائن في المصحف، وذلك أمر يعلمه كل من له أدنى علم بالكتاب، وأيسر حظ من معرفته.

5- إن الله تعالى وصف هذا القرآن بأنه عربي، وأنزله بلغة العرب، وسلك فيه مسالكهم في الكلام، وجرى به مجاريهم في الخطاب، وقد علمنا أن خطيبهم كان يقوم المقام الواحد فيأتي بفنون متباينة فضلا عن المقامين، فضلا عن جميع ما قاله ما دام حيّا[1].

والعجيب أنّ هذا الذي عدّه الشوكاني سببا للشّك والرّيب، يعدّه البقاعي سببا لزرع اليقين في القلب والطمأنينة لما جاء عن ربّ العالمين، إذ يقول:" وبهذا العلم يرسخ الإيمان في القلب ويتمكّن من اللّبّ... "[2]، ولكنّه مع ذلك

---

(1) – نفسه، ج1 ص72– 73.

(2) – نظم الدرر، ج1 ص11.

يعترف أنّ في الأمر خطورة، فإنّ الفَطِنَ إذا تأمّل الرّبط بين كلّ جملة وما تلاها، " خفي عليه وجه ذلك، ورأى أنّ الجمل متباعدة الأغراض متنائية المقاصد، فظنّ أنّها متنافرة، فحصل له من القبض والكرب أضعاف ما كان حصل له بالسماع من الهزّ والبسط، ربّما شكّكه ذلك، وزلزل إيمانه، وزحزح إيقانه... فإذا استعان بالله وأدام الطَّرْقَ لباب الفَرَج، بإمعان التّأمل وإظهار العجز، والوثوق بأنّه في الذروة من إحكام الرّبط، كما كان في الأوج من حسن المعنى واللفظ.. انفتح له ذلك الباب، ولاحت من ورائه بوارق أنوار تلك الأسرار، رقص الفكر منه طربا، وشكر الله استغرابا وعجبا، فرسخ من غير مِرْية إيمانُه "[3].

ومهما يكن، فإنّ الأمر لا يخلو من خطورة، فليس كلّ قارئ للقرآن يملك من الفطنة ما يصل به إلى إدراك أسرار الترتيب، بل ليس كلّ فطِن يستطيع أن يتوصّل إلى إدراك ذلك ولو بعد التّأمّل وإمعان النظر، وكأن البِقاعي يقول لنا: من لم يستطع الوصول إلى ذلك والتّحقّق ممّا هنالك، فليسلّم لنا، ودونه هذا الكتاب، فلينظر إليه نظر منصف، فسوف يجد فيه العجب العجاب.

وإذا لم تَرَ الهِلالَ فَسَلِّمْ لِأُناسٍ رَأَوْهُ بالأبصارِ

أمّا ما يتعلّق بباقي الحجج التي قدّمها الشوكاني، فإنّ أقواها، ما تواتر من نزول القرآن منجّما في ثلاث وعشرين سنة، بحسب الوقائع والأحداث، ولذلك لا يُطلب – والأمر كذلك – مناسبة بين آيات متفرّقات، نزلت لأمور مختلفات. ولكنّ الرّد على ذلك قريب، وهو أن القرآن الكريم، كما هو موجود بين أيدينا الآن، كان مكتوبا في اللّوح المحفوظ، ثمّ أنزل إلى بيت العزّة

---

[3] – نظم الدرر، ج1 ص11،12.

في السّماء الدّنيا، كما ورد عن ابن عبّاس، ومن ثَمَّ نزل على قلب محمد صلى الله عليه وسلم مفرّقا حسب الوقائع، ولكنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم كان يقول لكَتَبَة الوحي: ضعوا هذه الآية موضع كذا وكذا، فكان ترتيب الآيات في أماكنها توقيفا من النبي صلى اله عليه وسلم، وهذا الأمر لا خلاف فيه بين علماء الأمّة، وفصل الخطاب كما نُقِلَ عن بعض المحقّقين، أنّ الآيات على حَسَب الوقائع تنـــزيلا، وعلى حسَب الحكمة ترتيبا.

وممّا يردّ على الشوكاني، التّفسير الذي وضعه هو نفسه، حيث ذكر المناسبة بين الآي في مواضع كثيرة، فكأنّه نسي ما سجّله وانتصر له في أوّل تفسيره، أو لعلّه قرّر المنع في بداية تفسيره قبل أن يتبيّن له الأمر جيّدا، ثمّ لما خاض خِضَمَّ القرآن الكريم، وأطال التّأمل في ذلك وأكثر النّظر في كلام المفسّرين، تبيّن له كثير من وجوه المناسبات، فسجّلها في كتابه، دون أن يعود بالنّقض على ما كان قرّره في أوّل تفسيره؛ فكان هذا الصّنيع منه ردّا عمَليا على قوله ذاك.

ومن جهة أخرى نجده يثني على البِقاعي ثناء عاطرا، ويثني على تفسيره ويذكر أنه استفاد منه كثيرا، وذلك في معرض الرّد على السَّخاوي الذي أكثر من انتقاصه، وذلك حيث يقول:" ومن أمعن النّظر في كتاب المترجَم له في التّفسير الذي جعله في المناسبة بين الآي والسّور، علم أنه من أوعية العلم، المفرطين في الذّكاء، الجامعين بين علمي المعقول والمنقول، وكثيراً ما يُشكل عليّ شيء في الكتاب العزيز، فأرجع إلى مطوّلات التفسير ومختصراتها، فلا أجد ما يشفي، وأرجع إلى هذا الكتاب، فأجد ما يفيد في الغالب "[1].

وتتلخّص فوائد علم المناسبة فيما يلي:

---

[1] – البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، للشوكاني، دار المعرفة، بيروت (بدون تاريخ)، ج1 ص20.

– فهم التناسب يجعل أجزاء الكلام آخذاً بعضها بأعناق بعض، ليصبح كالبناء المحكم المتلائم الأجزاء، وبه يعرف علل ترتيب أجزاء القرآن الكريم، وهو سرّ البلاغة، لأدائه إلى تحقيق مطابقة المعاني لمقتضى الحال.

– دفع إيهام الاختلاف عن الآيات القرآنية، فقد يظنّ بعضهم أنّ الآيات نزلت في أوقات متباعدة وفي موضوعات متعدّدة فلا رابط بينها، بل إنّ هذا التّرابط بين الآيات والسّور هو لون من ألوان البيان المعجز، فالوحدة الموضوعية في القرآن الكريم حقيقة ثابتة في كلّ سورة منه.

– دلالة لغوية قوية في التّعرّف على المراد من الآيات ورفع اللّبس عن قصدها، ومُرَجِّح قويّ من مرجّحات بعض المعاني على بعض عند تزاحمها[2].

ويرى البقاعي أنّ تضييع المفسّرين لعلم المناسبة، وقف بهم حائرين أمام كثير من آيات القرآن، وأنّ هذا العلم يفتح الباب للوقوف على الحق في معاني تلك الآيات، ومثّل لذلك بقوله تعالى: "قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكِّل بكم..." [السجدة:11]، وقوله: "ألم يروا كم أهلكنا قبلهم من القرون أنهم إليهم لا يرجعون" [يس:31] وغير ذلك من الآيات[3]. وبذلك تتجلّى الغاية العظمى التي يسعى نحوها أهل البيان، وهي أنّ هذا القرآن منـــزّل من عند الله العليم الخبير، ولو كان من عند غير الله لوُجِدَ فيه الاختلاف، ولما وجد فيه هذا الاتّفاق الغريب، والائتلاف العجيب.

---

[2] – مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والإنسانية، المجلد 2، عدد 2، مقال بعنوان: المناسبات وأثرها على تفسير القرآن الكريم، عبد الله الخطيب ومصطفى مسلم، ص5.

[3] – نظم الدرر، ج1 ص13.